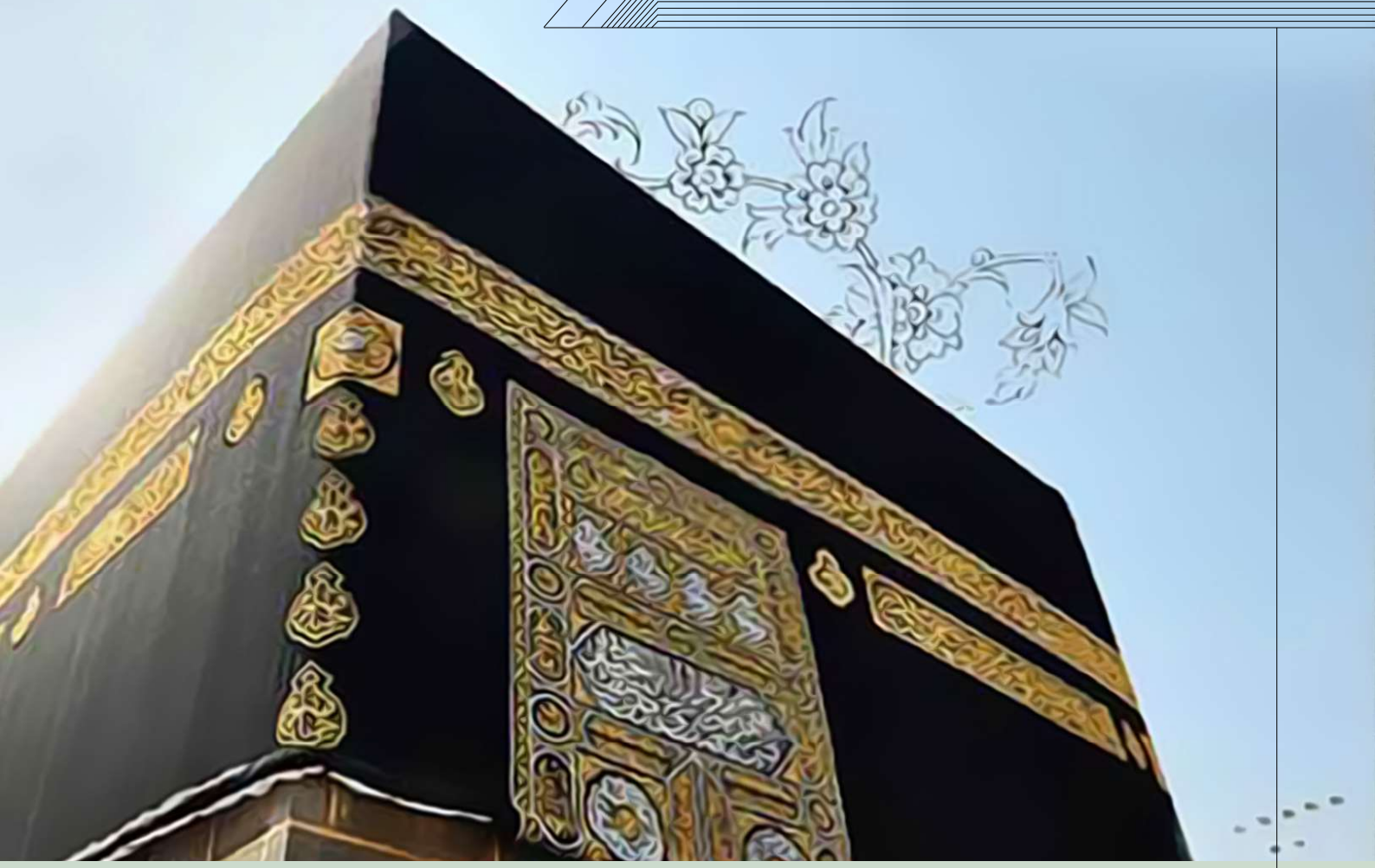

# المفهوم السياسي للحج في فكر الإمام الخميني (رحمة الله عليه)

بقلم الدكتور محمد هادي فلاح زادة

**التقديم:**

الإسلام خمسة أركان، آخرها حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، ولا يصح إسلام المرء إن لم ينوي الحج مرة واحدة على الأقل في عمرة عند استطاعته لذلك، والحج ملتقى للمسلمين من كل المذاهب والأعراق طالما أن الإسلام يجمعهم.

فالحج هو ذلك المؤتمر الإسلامي الأكبر الذي يتجدد في كل عام

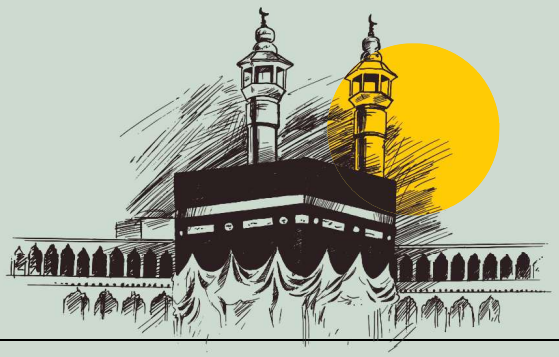

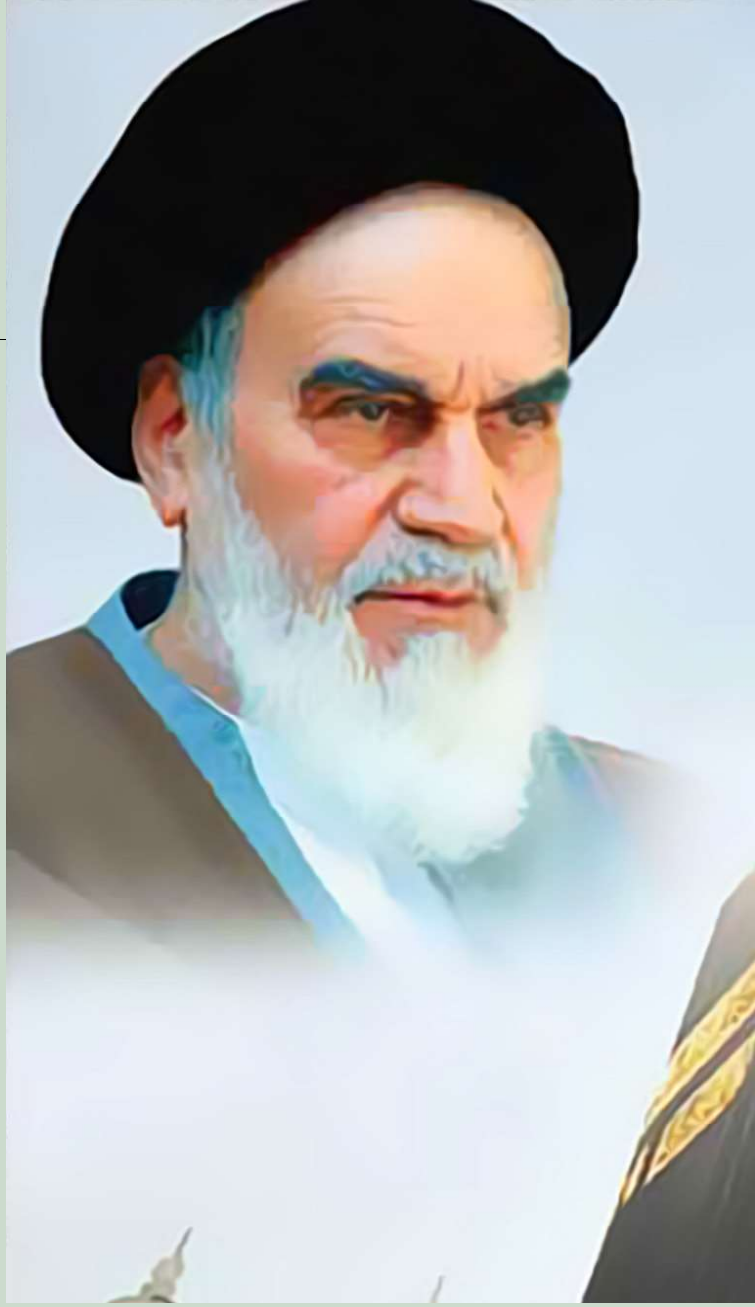

في أقدس بقاع الله في الأرض، وهو طريق واضحة للوحدة والجامعة الإسلامية إذا شاء الحكام وساعدوا عليه واستغلوا إمكانياته وطاقاته الخيرة الكبرى، إذ هو العبادة الجماعية الحسية المتميزة في الإسلام بهذا الوصف، فمناسكه وشعائره كلها مفروضة الأداء بصفة جماعية في حد ذاتها، أو لأن وقتها محدود في أيام معلومة معينة، وهي قائمة أساسا على التجمع والتكتل والتعارف والتآلف، وكل جماعة تؤم البيت الحرام وتفيد من منجزات الحج، تكون خير رسل لأقوامها تبلغهم ما يجب عليهم، وتبعثهم على إنجاز ما يلزم، ومع الزمن يتصل حبل الجماعة وتتضافر جهودها في بناء الوحدة والأجيال القادمة بتكرار مناسبات الحج كل عام...

وواضح أننا لا نجد لغير الحج من فرائض وعبادات الإسلام الأخرى هذه الصفة الجماعية الذاتية؛ لأن تلك العبادات يمكن القيام بها بصفة منفردة، وهي إما ذات نفع شخصي محض، أو ذات هدف اجتماعي على بقع ضيقة بدليل جعل الجماعة في الصلاة فرضا كفائيا في كل بلدة، وأن الزكاة لا يجوز نقلها إلى بلد آخر إلا في ظروف ما، وهذا لا عيب فيه؛ بل هو فضيلة لما فيه من تمتين بناء الجبهة الداخلية، وتكافل كل جماعة قليلة فيما بينها، باعتبار أنها أعرف بمناطق عيشها، وأهل موطنها، مما يدعو إلى اتحاد الجماعات الصغرى، واجتماع كلمتها، ووقوفها صفا واحدا إزاء مصالحها المشتركة، وتوثيق عرى التآلف وتبادل المحبة والإخاء بين أفرادها، كما يحصل ذلك - أيضا - في أداء صلاة الجمعة والعيدين.

## حقيقة الحج:

لا بد أن يكون للحج مفهومه التجديدي، وقد أبان العلامة الدهلوي في "حجة الله البالغة" حقيقة الحج وأثره التجديدي في المجتمع فقال: اعلم أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين في زمان يذكر حال المنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ومكان فيه آيات بينات قد قصده جماعات من أئمة الدين معظمين لشعائر الله متضرعين راغبين ورادين من الله الخير وتكفير الخطايا، فإن الهمم إذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزول الرحمة والمغفرة، وهو قوله صلى الله عليه وآله سلم: ما رئي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة... الحديث، ثم قال: "وكما أن الدولة تحتاج إلى عرضة - أي اختيار - بعد كل مدة يتميز الناصح من الغاش، والمنقاد من المتمرد، وليرتفع الصيت وتعلو الكلمة، ويتعارف أهلها فيما بينهم، كذلك الملة تحتاج إلى حج ليتميز المؤمن من المنافق، وليظهر دخول الناس في دين الله أفواجا، وليرى بعضهم بعضا، فيستفيد كل واحد ما ليس عنده، إذ الرغائب إنما تكتسب بالمصاحبة والترائي...".

والمكاسب الجماعية التي تتحقق بالحج متعددة متنوعة، منها سياسي ومنها اقتصادي، فبالمجتمع المنظم وبتمثل وإدراك غايات الحج يلتقي المسلمون على منهج واحد، وخطة عمل موحدة، ويقيمون دولة واحدة وإن تفرقت الحدود، وبالتعارف والتآلف تتعرف الشعوب حاجات بعضها وموارد وإنتاج بلدانها، بالإضافة إلى ما تقوم به السفارات والقنصليات الحديثة والوفود الاقتصادية من دور وخدمة رسمية في هذا الشأن، وبالاجتماع في صعيد الحج يستنصر الضعيف بالقوي، ويستعين صاحب الخطر الداهم بالبعيد عنه لدفع الأخطار وصد العدوان والضغط على الحكام المحليين إذا تراخوا وقصروا في القيام بواجبهم العام نحو إخوانهم المهدد وجودهم أو مصالحهم. وبذلك تتضح صور المواقف جلية وتنجلي الرؤى التي قد تشوهها أو تزيفها أو تسكت عنها وسائل الإعلام الحديثة.

## الحج في فكر الإمام الخميني (رحمة الله عليه):

على الرغم من أنّ الحج في الدين الإسلامي الحنيف واحد في أغلب تفاصيله، يتفق المسلمون على صلبه ويختلفون في بعض تفاصيله، وأن

المسلمين يؤدوا مناسكهم في وقت واحد، ولكن المسلمين لا يفقهون كثيرا الأبعاد السياسية والثقافية والاجتماعية لركن الحج العظيم، إلاّ أنّ الإمام الخميني تميز بين أقرانه العلماء برأيه المتميز في هذه الفريضة الإسلامية، فإن ما أتى به الإمام الخميني هو أن أخرجه من جموده وروتينيته، مضيفاً إليه معنىً حيوياً جديداً، فقد نادى بتفعيله وتحريكه على الساحة الإسلامية... فلم يعد ذلك الحج الطقوسي أو الشعائري الجامد، لم يعد مجرّد سفر وحركات محددة وأداء واجبات معينة، وإنما صار إضافة إلى الأداء الصحيح لمراسمه وأركانه، صار فريضة فاعلة لعبت دوراً حيوياً في الحياة الاجتماعية والسياسية والنفسية... فأصبح من خلال أفكار الإمام الخميني أقرب إلى المؤتمر السنوي الحامل لرسالة الوعي والإرشاد، يستضيء المسلمون بضوئه في حياتهم وسلوكهم دنيا وآخرة.

وهذا طرح جديد على مستوى الحياة الإسلامية الدينية اقتضتها ضرورة التجديد وإصلاح حال الأمة الإسلامية التي جمدت على أفكار لابد من تفعيلها. والجدير بالذكر أنّ الأمام ركز على أهم مقومات الحج، كما ركّز العلماء الآخرون عليه، لكنه تميز أن فرّع من تلك المقومات الشرعية أبعاداً أبعدَ مدىً من المادة الفقهية والشرعية، فأقام أسساً جديدة جمع من خلال المادة الفقهية بالحياة العملية للإنسان، فأخرج بذلك الحج من الفكرة النظرية المجردة إلى واقع عملي يعيشه الإنسان بكلّ جوارحه، وذلك هو ما مارسهُ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، عندما كانوا يعتبرون الحج قاعدة حوار فكري وساحة تربوية ومدرسة علم ومعرفة لكل أبعاد الحياة وساحة صراع مع شياطين الإنس والجن، بل كانوا عليهم السلام يعتبرون الحج الساحة التي يريدون للأمة المسلمة أن تسير في خطّها الإسلامي المستقيم، في خطة توجيهية عملية شاملة.

إن المؤمن الصادق الطموح يجهد نفسه في أداء مناسك الحج بشكل متقن وصحيح وبنفس طاهرة متعلقة بخالقها ومعبودها ؛ لأنّ نفسه تنظر إلى المرآة الإلهية قبل أن تنظر إلى المرآة الاجتماعية والاقتصادية وغيرهما ؛ بحيث يكون سلوكه الذاتي والداخلي والروحي مطابقاً للخطاب الشرعي {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فج عميق}.

> **إنّ أغلب خطابات الإمام السنوية لحجاج بيت الله الحرام كانت تتناول البُعد السياسي بالخصوص بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران... كان يعرض فيها قضايا الأمة الكبرى ومشاكلها، مستنهضاً المسلمين إلى وجوب التحرك الشامل للتصدي بها، داعياً إياهم إلى الوحدة في العمل والصف والأهداف تحت راية الإسلام للتخلص من الظلم والاستضعاف والتخلف والتبعية للاستكبار العالمي.**

## المفهوم السياسي للحج في فكر الإمام الخميني (رحمة الله عليه):

إنّ أغلب خطابات الإمام السنوية لحجاج بيت الله الحرام كانت تتناول البُعد السياسي بالخصوص بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران... كان يعرض فيها قضايا الأمة الكبرى ومشاكلها، مستنهضاً المسلمين إلى وجوب التحرك الشامل للتصدي بها، داعياً إياهم إلى الوحدة في العمل والصف والأهداف تحت راية الإسلام للتخلص من الظلم والاستضعاف والتخلف والتبعية للاستكبار العالمي، والسعي إلى تحقيق ما من شأنه تعزيز ونشر قيم الله وأحكامه في الأرض.

يقول الإمام الخميني: "هناك عوامل سياسية عديدة وراء عقد الاجتماعات والمجامع وخاصة اجتماع الحج القيم، والتي منها التعرف على المشاكل الأساسية والقضايا السياسية للإسلام والمسلمين، ولا يمكن ذلك إلاّ باجتماع رجال الدين والمفكرين والملتزمين الزائرين لبيت الله الحرام، وذلك بعرض وبتبادل الآراء لإيجاد الحلول، وفي العودة إلى البلدان الإسلامية يعرضونها في المجامع العامة ويسعون في رفع وحل مشاكلهم".

## البعد السياسي للحج:

تنطوي شعائر الحج على الكثير من المضامين العبادية والدلالات السياسية، في آن معا، وقد كانت القبائل عندما تؤم مكة في موسم الحج، تحمل كلّ منها أعلامها المميزة وأصنامها، ومؤكدة بذلك على تمايزها القبلي أو على ترتبها وعلو شأنها بين القبائل الأخرى. ولكن الحج، بعد الدعوة، أرسى مؤسسة جديدة تتعارض بل تلغي كافة هذه الممارسات والشعائر، خالقة حالة توحيدية خالصة، تؤمّن للمسلمين إحدى الدعائم التي تجعلهم قادرين على مقاومة الانشدادات المختلفة من قومية وقبلية وما إلى ذلك، وعليه، فالحج كما يتّضح من الكتاب والسنة وسيرة السلف وأقوال العلماء لا يتلخّص في كونه موسماً عبادياً (بالمفهوم المألوف عند كثيرين)، بل هو إلى جانب ذلك مؤتمر سياسي عالمي وملتقى اجتماعي عام يوفّر للمسلمين القادمين من شتى أنحاء المعمورة فرصة التعارف، والتآلف، واللقاء بعضهم ببعض، وانتفاع بعضهم ببعض، ومداولة أمورهم وحل مشاكلهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية في جو من الأمن

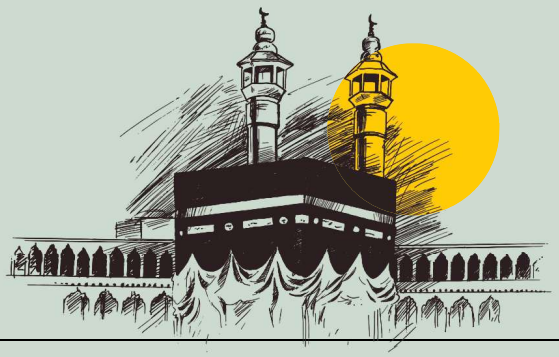

والقداسة والصفاء والمحبّة.

لقد وصف القرآن الكريم «الحج» في عدّة مواضع بأنّ فيه ما ينفع الناس ويضمن مصالحهم، كما أنّ السنّة والسيرة النبوية الشريفة هي الأخرى تشير إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله مارس الأعمال السياسية في الحج، فضلاً عن الأحاديث التي تفيد بأنّ الحج نوع من الجهاد كقوله صلى الله عليه وآله: «نعم الجهاد الحج».

ولعل ما جاء وصحّ عن الرسول - صلى الله عليه وآله - من الأدعية والأذكار في الحج تلك التي تتضمن معاني سياسية إلى جانب معانيها التوحيدية خير شاهد على أنّ الحج موسم مناسب لأن يظهر فيه المسلمون موقفهم من أعداء اللّه والإسلام .. كالدعاء: «لا إله إلاّ اللّه وحده وحده، أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده».

وقد أشار كثير من علماء الإسلام والمفكرين الإسلاميين إلى ما ترمز إليه هذه المناسك من أمور معنوية، واقتصادية، واجتماعية وسياسية، كما ورد في البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما قدم النبي - صلى الله عليه وآله - عامه الذي استأمن فيه (أي قدم مكة للعمرة) قال لأصحابه: اِملوا (أي أسرع في المشي، وهزّ منكبيه) ليري المشركين قوتهم.

وفي البخاري ومسلم - أيضا - قال ابن عباس: «إنما سعى رسول اللّه - صلى الله عليه وآله - بالبيت وبين الصفا والمروة ليري المشركين قوته. وهذا يشير إلى أنه يجوز أن يضم الحاج إلى مناسكه مقاصد سياسية وأغراضا جهادية مثل إرهاب الأعداء واستنكار أعمالهم، وشجب مؤامراتهم وفضح خططهم.. كما يوحي بذلك عمر ابن الخطاب إذ كان يقول إذا كبّر واستلم الحجر: «بسم اللّه واللّه أكبر على ما هدانا، لا إله إلاّ اللّه لا شريك له، آمنتُ باللّه وكفرت بالطاغوت.

إنّ التاريخ يحدّثنا أنّ السلف الصالح لم يقتصر في الحج على المناسك والعبادة، بل استغلوا هذه المناسبة للعمل السياسي كجزء طبيعي من هذه الفريضة، لا كشيء زائد عليها أو أجنبي عنها، فها هو الإمام الحسين بن علي سبط الرسول (صلى الله عليه وآله) يحتج على حاكم جائر من حكام زمانه في يوم من أيام الحج.

بل ووجد غير المسلمين فرصتهم في الحج ليعرضوا على الخليفة شكاواهم فيقوم الخليفة بإنصافهم في زمن الحج، لا بعدئذ، كما هو الحال في قصة ابن القيطي الذي ضربه ابن عمرو بن العاص (والي مصر يومئذ).. فاقتضى عمر بن الخطاب الذي اقتص من المعتدي على

مـرأى ومسـمع مـن ألوف الحجيـج، وقال كلمته الشـهيرة: يا عمـرو «متى اسـتعبدتم النـاس وقـد ولدتهم أمهاتهـم أحـرارا ؟!».

حـول هـذه الحادثـة يعقّـب أحـد العلـماء المعاصرين بقوله: «فـإذا كان الحج موسـما لبيان الظلامات والشـكاوى من الحكام والولاة المسـلمين، أفلا يكـون مـن الأوْلى أن يجـوز فيه الشـكوى من الاسـتعمار وأذنابـه وعملائه، واسـتنصار المسـلمين عليهم ؟ وهل يجوز أن نشـكو الوالي المسلم إذ تعدّى حـدوده، ولا يجـوز أن نشـكو المسـتعمر الظـالم والأجنبـي الغـازي، وهـو يرتكـب كلّ تلك الجرائم والمجـازر ؟.

## فلسفة الحج عند الإمام:

إنّ الدلالات السياسـية المختلفة التي تتضمنها ظاهرة الحج في المجتمع الإسلامي تنطوي على سمات خاصة بهذا المجتمع، فالسياسة ليس مؤسسة قائمـة بذاتهـا ومنفصلة عن باقي جوانب وأبعاد الحيـاة الفردية والجماعية ؛ بـل هي لحظة تتدرج ضمن ممارسـة شـمولية متعـددة الجوانب، تعطي للنسـق السياسي الإسلامي بعدا توحيديا متميّزا.

وإذا مـا وعينـا هـذه الحقيقـة جيدا نسـتطيع أن نفهم أهميّـة النداءات والتوجيهـات التـي أطلقهـا الإمـام الخمينـي، بشـأن الحـج والحجيـج، إنّها نـداءات وتوجيهـات نابعة عن فهم واعٍ حركي للإسـلام، أو هي بعبارة أخرى منطلقـة مـن نظـرة واعيـة للدور الذي يسـتطيع الحـج أن ينهـض به على سـاحة التاريخ.

ولا بـدّ مـن الوقـوف عـلى عمـق فلسـفة الحـج عنـد الإمـام الراحـل ؛ فالطـواف حـول الكعبـة يـرى فيـه الإمـام الخميني رمـزا لحرمـة «الطواف

والسعي حول (أية مبادئ) غير مبادئ اللّه، وأن رجم الشيطان هو رمز لرجم كلّ شياطين الأنس والجن في الأرض، أيها الحجاج .. احملوا من ربكم نداءً إلى شعوبكم، أن لا تعبدوا غير اللّه وأن لا تخضعوا لغيره».

ولا يذهبنّ الظن بالبعض أنّ الإمام الخميني قد انتبه مؤخراً إلى هذا الفهم، وتحديداً بعد انتصار ثورته الإسلامية، بل إنه تصدّى إلى قضايا المسلمين منذ وعى دوره التاريخي، وقبل هذا الزمن بفترة ليست بالقصيرة، ولقد اقترنت اهتمامات الإمام الراحل بموسم الحج باهتماماته الرامية إلى إصلاح أوضاع المسلمين، وتغيير ما هم عليه من ركود وخنوع وذل واستكانة.

الإمام أكّد دوما على ضرورة استثمار هذه الفرص التي وفّرها الإسلام للمسلمين من أجل إعادة الإسلام إلى مسرح الحياة، وإعادة تكوين الأمة

**إنّ هذه الثورة قد قامت بالدرجة الأولى من أجل العالم الإسلامي، وبالدرجة الثانية من أجل المحرومين والمستضعفين الذين يسعون من أجل تحريرهم.. وبهذا المعنى فإنّ الثورة الإسلامية الإيرانية ليست فريدة ومقتصرة على نفسها، بل هي بداية ثورات تماثلها في الهوية والميزات.**

المسلمة الفاعلة على الساحة التاريخية.

يقول الإمام في بداية نفيه إلى النجف الأشرف: « في الدول غير الإسلامية تنفق الملايين من ثروة البلاد وميزانيتها، من أجل عقد مثل هذه الاجتماعات، وإذا انعقدت فهي في الغالب صورية شكلية تفتقر إلى عنصر الصفاء وحسن النية والإخاء المهيمن على الناس، في اجتماعاتهم الإسلامية، ولا تؤدي بالتالي إلى النتائج المثمرة التي تؤدّي إليها اجتماعاتنا الإسلامية.

وضع الإسلام حوافز ودوافع باطنية تجعل الذهاب إلى الحج من أغلى أماني الحياة، وتحمل المرء تلقائيا إلى حضور الجماعة والجمعة والعيد بكلّ سرور وبهجة. فما علينا إلاّ أن نعتبر هذه الاجتماعات فرصا ذهبية لخدمة المبدأ والعقيدة؛ لنبيّن فيها العقائد والأحكام والأنظمة على رؤوس الأشهاد وفي أكبر عدد من الناس.

علينا أن نستثمر موسم الحج، ونجني منه أطيب الثمار في الدعوة إلى الوحدة والدعوة إلى تحكيم الإسلام في الناس كافة، علينا أن نبحث مشاكلنا ونستمد حلولها من الإسلام .. علينا أن نسعى لتحرير فلسطين وغيرها. المسلمون الأوائل كانوا يجنون من جماعاتهم وجمعاتهم وأعيادهم ومواقف حجهم أحسن الثمار».

## التأكيد على الجانب السياسي والاجتماعي:

هذا هو فكر الإمام الخميني في كلّ المواقف والمنعطفات، رؤية ثاقبة واعية لا تحيد عن الإسلام. ولهذا فهو - انطلاقا من فهمه الواعي الصحيح للإسلام - لا ينظر إلى الأحكام نظرة تجزيئية بل ينظر إليها باعتبارها كلاً واحدا لا ينفصل بعضها عن بعض. الأحكام العبادية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية تقوم على قاعدة واحدة، وترتبط مع بعضها بأواصر وثيقة لتشكّل أساس كيان المسلمين وحركتهم المتسامية. يقول الإمام: «كثير من الأحكام العبادية تصدر عن معطيات اجتماعية وسياسية، فعبادات الإسلام عادة توأم سياساته وتدابيره الاجتماعية .. صلاة الجمعة مثلاً واجتماع الحج والجمعة تؤدي - بالإضافة إلى ما لها من آثار خلقية وعاطفية - إلى نتائج وآثار سياسية، استحدث الإسلام هذه الاجتماعات وندب الناس إليها، وألزمهم ببعضها حتى تعم المعرفة الدينية وتعم العواطف الأخوية، والتعرّف بين الناس، وتنضج الأفكار وتنمو وتتلاقح، وتُبحث المشاكل السياسية والاجتماعية وحلولها».

> **يستعرض الإمام الخميني رضوان الله مظاهر الهجوم الشرس من قبل أعداء الإسلام على العالم الإسلامي، من قبيل ما كان يجري، يومئذ في أفغانستان، حيث الاجتياح السوفيتي، وما تشنه الدولة العبرية من هجوم واسع النطاق على المسلمين في فلسطين العزيزة ولبنان العزيز..**

وفي ندائه إلى حجاج بيت اللّه الحرام عام ١٣٩٩هـ قال رحمه الله: «الإسلام دين عبادته سياسة، وسياسته عبادة. والآن إذ يجتمع المسلمون من شتى بقاع الأرض حول كعبة الآمال لحج بيت اللّه، وللقيام بالفرائض الإلهية، وعقد هذا المؤتمر الإسلامي الكبير .. في هذه الأيام المباركة وفي هذه البقعة المباركة يتوجّب على المسلمين الذين يحملون رسالة اللّه تعالى أن يستوعبوا المحتوى السياسي والاجتماعي للحج إضافة إلى محتواه العبادي.

وفي الوقت الذي يبثّ فيه الإمام الوعي في أوساط الأمة، مؤكدا أنّ الحج فرصة من فرص العودة إلى الذات... نراه يثير انتباه جموع الحجيج إلى طريق الخلاص، وما يكتنف العالم الإسلامي من تحديات: «إنكم تعرفون أنّ القوى الكبرى تنهب ثرواتنا المعنوية والمادية، وتتركنا في فقر، تحت سيطرتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية، ولا يمكن التخلّص من هذا الوضع إلاّ بالعودة إلى شخصيتنا الإسلامية، ورفض الظلم والطغيان من أي مصدر كان، وفضح القراصنة الدوليين وعلى رأسهم أمريكا».

وبهذا الهدف الشمولي الإنساني أعاد الإمام بعث المشروع الحضاري الإسلامي، فمن لوازم عقيدة التوحيد إيمان كلّ مسلم «بأنّ الدين الإسلامي سيسود العالم، وسيمحو آثار الكفر والاستكبار عن وجه الأرض». إلاّ أنّ هذا الهدف الاستراتيجي غير متحقق إلاّ انطلاقاً من تحقيق هدف مركزي ديناميكي يتمثل في قيام حكومة إسلامية تمهيدية، حيث يمكن للمسلمين أن يقيموها، وحيث تتوفر المناخات والظروف الآيلة إليها، فكان أول العقد في إيران، إذ اندلعت الثورة الإسلامية فيها على يدي الإمام الخميني نفسه بعد نضوج مقدماتها التكاملية وجهاد استمرّ متواصلاً جادا على مدى ما يناهز الربع قرن من الزمن. لكن هذه الثورة لم تكن إلاّ الخطوة الأولى في المشروع الكبير، بما هي ثورة من أجل العالم الإسلامي، ومن أجل المستضعفين في العالم في الوقت نفسه. يقول الإمام: «إنّ هذه الثورة قد قامت بالدرجة الأولى من أجل العالم الإسلامي، وبالدرجة الثانية من أجل المحرومين والمستضعفين الذين يسعون من أجل تحريرهم.. وبهذا المعنى فإنّ الثورة الإسلامية الإيرانية ليست فريدة ومقتصرة على نفسها، بل هي بداية ثورات تماثلها في الهوية والميزات». وهذا يعني - فيما يعني - أنّ إيران للإسلام وفي خدمة الإسلام، وليس العكس، أي أن إيران ليست للإيرانيين، كما يحلو للبعض رفع هذا الشعار، بل إنّ الثورة الإسلامية قامت

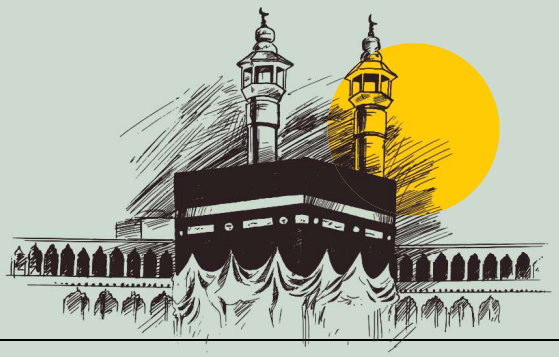

من أجل المحرومين والمستضعفين، فهي - حسب الرؤية الخمينية - ملاذ لهؤلاء وداعم لهم، فكيف بالمسلمين الذين هم أولى من غيرهم بهذا الحق ؟! كان لا بدّ للثورة «النموذج» من أن تنبعث من مكان جغرافي، شاء اللّه أن يكون إيران (بعدما نضجت فيها مقومات الانتفاض وأسبابه)، لكنها انطلاقة إلى كلّ الأمكنة والى كلّ الشعوب بهدف وحدوي توحيدي هو: «تثبيت واستقرار القيم الإسلامية وحدها»، ولم يفارق خطاب الإمام التبليغي هذه المعادلة قط، فلحظ وحدة المشروع مرتبط عنده دائما بلحظ وحدة العالم والإنسان، والمسلمون والمستضعفون في الأرض هم المكلفون، وهم المعنيون بالتحرك والسعي لإنقاذ حكم اللّه ونظامه، وما المشروع الإلهي إلاّ لاستنهاضهم وتحريرهم من كلّ العبوديات، فهو الهادي المؤدي إلى الحق والعدالة، والقسط وخير الإنسانية وهم المهتدون، ودور المبلغين والقادة هو إنجاز الارتباط المعرفي بين مشروع الهداية والمهتدين العتيدين.

## الوعي السياسي للمسلمين:

تضافرت جهود ضخمة ومخططات حقودة على تغييب الوعي في أوساط المسلمين. ولعل موسم الحج - بوضعه الفعلي - أفضل معبّر عمّا يعانيه المسلمون اليوم من سطحية وضياع وركود وتشتت، لا أثر للمنافع التي ذكرها اللّه تعالى في الآية الكريمة...«لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ». ليس هناك أي منافع على صعيد التوعية، ولا على الصعيد السياسي، ولا على الصعيد الاقتصادي .. اللهم إلاّ ما يجنيه معسكر الكفر من أرباح اقتصادية في هذا الموسم، من خلال تدفّق بضائعه الكاسدة على أسواق مكة والمدينة وجدّة. أكثر حجاج بيت اللّه الحرام تضيع أوقاتهم في موسم الحج بين أداء جامد غير واعٍ للمناسك، وبين تجوّل في الأسواق، وتهافت على شراء البضائع الأجنبية، وبين جلسات سمر واسترخاء، بأشكال متعددة، هذا هو الذي يعبّر عنه الإمام الخميني بالغفلة إذ يقول: «لا يمكن للمسلمين أن يحيوا حياة مشرفة إلاّ بالإسلام، لقد أضاعوا إسلامهم، لقد عُدنا نجهل الإسلام، بسبب إيحاءات الغرب وتشويهاته، ولذلك فإنّ المسلمين يجتمعون كلّ عام في مكة المكرمة حيث جعلها اللّه ملتقى للمسلمين، لكنهم لا يدرون ماذا يفعلون، لا يستفيدون من هذا الاجتماع إسلاميا، ومثل هذا المركز السياسي جعلوه مركز غفلة عن كلّ مسائل المسلمين، ولو استثمر المسلمون عطاء الحج السياسي؛ لكان ذلك كفيلاً بتحقيق استقلالهم، لكننا أضعنا الإسلام مع الأسف ..

لقد أبعدوا الإسلام عن السياسة، فقطعوا رأسه وسلّموا لنا بقيته وجرّونا إلى الوضع الذي نعيشه اليوم، وما زال المسلمون على هذه الحالة فلن يستعيدوا مجدهم».

إلى هذا المنوال، يستعرض الإمام مظاهر الهجوم الشرس من قبل أعداء الإسلام على العالم الإسلامي، من قبيل ما كان يجري، يومئذ في أفغانستان، حيث الاجتياح السوفيتي، وما تشنه الدولة العبرية من هجوم واسع النطاق على المسلمين في فلسطين العزيزة ولبنان العزيز.. ومع إعلان إسرائيل عن مشروعها الإجرامي بشأن نقل عاصمتها إلى القدس .. وما يقدمه عملاء أمريكا من خدمات كبيرة لتنفيذ مخططها الإجرامي، مع ما يتزامن مع ذلك كلّه من حصار وتآمر ونشر دعايات سوء وأكاذيب وافتراءات ضد الثورة الإسلامية.

وهنا يقول الإمام: "على المسلمين أن يكونوا يقظين أمام خيانات هؤلاء العملاء الأمريكيين بالإسلام والمسلمين".

ومتى ما توفر الوعي واليقظة فإنّ قدرا مهما من تفويت الفرصة على أعداء الإسلام يكون قد تحقق على أرض الواقع، وبخلاف ذلك فإنّ المخطط المناوئ للإسلام يشقّ طريقه دون أية عوائق تذكر، وهذا ما يدلّنا على سر العداء الشديد الذي تكنّه الدوائر الاستكبارية للحركات الإسلامية، والتي دأبت على وصفها بالحركات الأصولية أو الراديكالية أو الإرهابية.

## البراءة في الحج في فكر الإمام:

أحيا الإمام الخميني ركن البراءة من المشركين والمستكبرين، وهو ركن ظل منسيا طوال التاريخ، وهي البراءة من أعداء الله وتولي أولياء الله، وهي التي جاءت في سورة التوبة، لتعلن ضرورة واجهة الاستكبار، لقد تحولت «البراءة» في مفهوم وعينا السياسي الإسلامي إلى ركن من أركان وجودنا الجهادي...

ونتلمس في حركة مواجهتنا للأنظمة التابعة ولقوى السيطرة الدولية حضورا مميز لعقيدة البراءة، وعلى ضوء فكر هذه النهضة عند الإمام الخميني، نتلمس أركان عقيدة البراءة في محتواها السياسي وإطارها الحركي وصلتها بالواقع الإسلامي المعاصر.